﴿وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾﴾

[الأحزاب: 26]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

مصيرُ ناكثي العهود من اليهود

لمّا أتمَّ اللّه سبحانه أمرَ الأحزاب؛ أتبعَهُ حال الذين ألَّبوهم من يهود بني قريظة، وما حلَّ بهم من عذاب مهين بسبب نقضهم العهود[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿ظَٰهَرُوهُم﴾: (ظهر) أصلٌ صحيح واحد يدلُّ على قوَّةٍ وبُروزٍ، مِنْ ذَلِكَ: ظَهَرَ الشَّيْءُ يَظْهَرُ ظُهورًا، فهو ظاهر؛ إذا انكشف، وبرز، ولذلك سُمّي وقت الظُّهر والظَّهيرة، وهو أظهر أوقات النَّهار وأضْوَؤُها، والأصْلُ فيه كُلِّه ظَهْرُ الإنْسانِ، وهوَ خِلافُ بَطْنِه، وهوَ يَجْمَعُ البُروزَ والقوَّة، والظَّهيرُ: المُعينُ، كَأنَّهُ أسْنَدَ ظَهْرَهُ إلَى ظَهْرِكَ، والمُظاهَرَةُ: المعاونة، والتَّظاهُرُ: التعاون[2]، ومعنى ﴿ظَٰهَرُوهُم﴾ في الآية: أنَّ اليهود عاونوا الأحزاب المردودين على رسول اللّه ﷺ والمسلمين[3].

2) ﴿صَيَاصِيهِمْ﴾: (صي) كلمة واحدة مطابقة، وهي كلُّ شيء يُتَحَصَّنُ به، من ذلك تسميتُهم الحصونَ صياصيَ، ثمَّ شُبِّهَ بذلك ما يُحارب، ويَتَحَصَّنُ به الدّيك صيصيَّةً، والصَّياصي: قُرون البَقَر والظِّباء، وكلُّ قَرْنٍ صيصةٌ؛ لأنَّ ذَوات القُرون يتحصَّن بها[4]، و(الصياصي) في الآية: الحصون الَّتي تحصَّن بها اليهود[5].

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 15/ 332.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة، والجوهري، الصحاح، والرّاغب، المفردات: (ظهر).
(3) الهرريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 22/ 480.
(4) ابن فارس، مقاييس اللغة، والجوهري، الصحاح، والأزهري، التّهذيب، والرّاغب، المفردات: (صيص).
(5) الواحديّ، البسيط: 18/ 223.

3) ﴿وَقَذَفَ﴾: أصل (قذف) يدلُّ على الرَّمي والطَّرح، يقال: قذف الشَّيء يقذفه قذفًا؛ إذا رمى به، سواء كان بِالسَّهْم أم الحَصَى أم الكلام وكلِّ شَيْء، وبعضهم خصَّص القَذْفَ بالرَّمي البعيد، ولاعتبار البُعد فيه؛ قيل: منزل قَذَفٌ وقَذيفٌ، وبلدة قَذوفٌ: بعيدة، واستعير القَذْفُ للشَّتم والعيب، كما استُعير الرَّمي[1]، ومعنى القذف في الآية الإلقاء القويُّ السَّريع، أي: جعل الله في قلوبهم الرُّعب بأمره التَّكويني، فاستسلموا، ونزلوا على حكم المسلمين[2].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

هزيمةُ اليهود الملاعين أمام المسلمين بين القتل والأسر المهين

يخبر ربُّنا سبحانه أنَّه أنزل يهود بني قريظة من حصونهم؛ لإعانتهم الأحزاب في القتال، وألقى في قلوبهم الخوفَ الشديد، فهُزِموا أمام المسلمين، يقتلون منهم فريقًا، ويأسرون فريقًا آخر[3].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

دلالةُ الواوِ في قوله: ﴿وَأَنزَلَ﴾:

عطفُ نعمةِ إنزال اليهود الملاعين على نعمة ردِّ الأحزاب مغتاظين خائبين

وُصِلَ قولهُ تعالى: ﴿وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ﴾ بحرف الواو الدالِّ على الجمع والاقتران لكون السياق في تعديد نِعَم الله سبحانه على المؤمنين في واقعة الأحزاب، فعطف نعمة نزول اليهود الملاعين على نعمة ردِّ الأحزاب خائبين مغتاظين[4].

سرُّ التَّعبيرِ بالإنزال دون الإخراج:

التسفُّل بعد العلو بالقتل والأسر

أوثِرَ في قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ﴾ التَّعبيرُ بالإنزال دون الإخراج مناسبة لذكر الصياصي، وهي الحصون، فأهبط الله اليهود من حصونهم العالية التي كانوا

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة، والأزهري، التّهذيب، والرّاغب، المفردات: (قذف).
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 21/ 312.
(3) نخبة مِنَ العلماء، التّفسير الميسر، ص: 421.
(4) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 4/ 379.

يعتصمون بها بعد أن حاصرهم جيش المسلمين نحوًا من عشرين ليلة، وللإشارة إلى تحوُّل حالهم من العلوِّ والاستكبار إلى الذلِّ والهوان والتَّدنّي والتَّسفُّل.

دلالةُ التَّعبيرِ بجملة الموصول:

بيانُ علَّةِ قتال المسلمين لليهود الخائنين للعهود

استُعمل في قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ الاسمُ الموصول ﴿ٱلَّذِينَ﴾ وصلته ﴿ظَٰهَرُوهُم﴾، دون الاسم الظّاهر (اليهود)؛ لأنَّه يسمح بوصفه بجملة الصِّلة، وللتَّنبيه على علَّة الحكم، فعبَّر النَّظم القرآنيُّ عن اليهود بعبارة ﴿ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم﴾؛ للإيماء إلى سبب قتال المسلمين لليهود، وهو أنَّهم قد عاونوا، وما لَؤُوا المشركين على حرب النَّبيِّ ﷺ، وأخافوا المسلمين، ورامُوا قتْلَهم؛ ليعزّوا في الدُّنيا، فانعكس عليهم الحال، وانقلب إليهم القتال، لمّا أسرع المشركون، وراحوا بصفقة المغبون، فكلَّما راموا العزَّ؛ ذلّوا، وأرادوا استئصال المسلمين، فاستُؤصلوا[1].

سرُّ التَّعبيرِ بالماضي ﴿ظَٰهَرُوهُم﴾:

عقابُ يهودِ بني قريظة على خيانتهم الماضية

جاء الفعل (ظاهروهم) في قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ على صيغة الماضي؛ لحكاية حال سابقة منقضية، فيهود بني قريظة كانوا قد أعانوا الأحزاب، وحاصروا المدينة معهم، فلمّا صرف الله الأحزاب؛ أمر الله رسولَهُ ﷺ أن يغزو قريظة لخيانة عهدهم مع رسول الله ﷺ.

دلالةُ التَّعبير بـ﴿مِّنْ﴾ في قوله: ﴿مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾:

تنوُّعُ المعاني تبعٌ لمعنى (مِن)

دلَّ حرف الجرِّ ﴿مِّنْ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ على التَّبعيض[2]، فالمقصودون في هذا السّياق هم يهود بني قريظة على قول جمهور أهل المغازي والسِّيَرِ، وهم بعض

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 06/ 398.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 15/ 333.

أهل الكتاب، وليسوا كلَّهم، أو ﴿مِّنۡ﴾ بيانيَّة، ويكون القصد من هذا البيان زيادة التَّشنيع عليهم، ببيان سوءاتهم الَّتي كان ينبغي أن تكون عكس ذلك؛ لأنَّهم أهل العلم بالكتاب.

دلالةُ التَّعبيرِ بـ﴿أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ﴾:

توبيخُ اليهودِ بمخالفة أحكام التَّوراة

وُصِف اليهود في قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ بأنَّهم أهل كتاب؛ تذكيرًا لهم بما أوجب الله عليهم من اتِّباع موسى عليه السلام، وتوبيخًا لهم على مخالفة التَّوراة الَّتي ورد فيها وصف النَّبيِّ ﷺ ووجوب اتِّباعه.

دلالةُ التَّعبيرِ بـ﴿مِن﴾ في قوله: ﴿مِن صَيَاصِيهِمۡ﴾:

استنزالُ اليهود من الحصون إلى أيدي المسلمين

ورد في قوله تعالى: ﴿مِن صَيَاصِيهِمۡ﴾ حرف الجرِّ ﴿مِن﴾، وهو دالٌّ على ابتداء الغاية المكانية، فالله سبحانه أنزل اليهود من حصونِهم إلى أيدي المسلمين بعدما زلزلهم، وقذف في قلوبهم الرُّعب، فنزلوا على حكمهم مستسلمين.

سرُّ التَّعبيرِ بـ﴿صَيَاصِيهِمۡ﴾:

إطلاقُ الصياصي على الحصون أو الأصول

عبَّرَ بلفظ الصّياصي في قوله تعالى: ﴿مِن صَيَاصِيهِمۡ﴾، والمقصود به الحصون والآطام، ومفرده صيصة أو صيصيَّة، وهو مأخوذ من صيصة الدّيك: الشَّوكة الَّتي في رجله، وصياصي البقر: قرونُها؛ لأنَّها تمتنع بها، وربَّما كانت تركب في الرِّماح مكان الأسنَّة، وأيضًا تسمّى شوكة الحائك: صيصة[1]، وفي ذلك إشارة إلى قوَّة حصونهم ومنعتها بالإضافة إلى تحصُّنهم بالمكان نفسه لارتفاعه، فقد سكنوا أعالي المدينة من جهة الجنوب، كما تُطلق الصياصي على الأصول أيضًا، قال أبو عبيدة: إنَّ العرب تقول: جذَّ الله تعالى صِئْصِئَهُ، أي: أصله[2].

(1) ابن قتيبة، غريب القرآن، ص: 349، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 14/ 161.
(2) أبو عبيدة، مجاز القرآن: 02/ 136.

بلاغةُ الاستعارة في قوله: ﴿صَيَاصِيهِمْ﴾:

تشبيهُ الحصون بالقرون بحصول المنعة في كليهما

أُطلِقَ على الحصون في قوله تعالى: ﴿مِن صَيَاصِيهِمْ﴾ لفظُ الصّياصي من باب الاستعارة، فالصياصي أصلها القرون للثور ونحوه، فلمّا كانت القرون يدافع بها الثَّور عن نفسه؛ سُمِّيَ المعقل الذي يعتصم به الجيش صيصية، والحصون صياصي من باب الاستعارة بجامع المنعة في كلٍّ[1].

دلالةُ الواو في قوله: ﴿وَقَذَفَ﴾:

عطفُ نعمةِ زلزلة الأعداء بالرُّعب على النِّعم الأخرى

عُطِفَ قولُهُ تعالى: ﴿وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ﴾ على قوله: ﴿وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم﴾ بحرف الواو الدالِّ على الجمع والاقتران؛ لكون السّياق في تعديد نِعَمِ الله سبحانه على المؤمنين في واقعة الأحزاب، فعطف نعمة أخرى، وهي نعمةُ زلزلة الأعداءِ وقذف الرُّعب في قلوبهم.

سرُّ التَّعبير بالقذف بدل الإلقاء:

الدّلالةُ على قوّةِ المقذوف وسرعته وشدَّة أثره

عبَّر ﷻ بالقذف بدلَ الإلقاءِ في قوله: ﴿وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ﴾ مع اليهود هنا وفي الحشر، بينما عبَّر عن الرُّعب بالإلقاء مع عموم الكفار في آل عمران: ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعْبَ﴾ [آل عمران: 151]، وفي الأنفال: ﴿سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعْبَ﴾ [الأنفال: 12]؛ للدِّلالة على أنَّ القذف إلقاءٌ فيه نوع قوَّة وشدَّة وسرعة، حتى يحدث ذلك الأثر الشَّديد في القلوب، فكأنَّ الرُّعب شيء حسيٌّ أو رجل يحمل شيئًا حسيًّا يقذفه، وكأنَّه مقذوفٌ يقذف به في الحرب، وهذا يفسِّر لنا شدَّة جبن اليهود، وعظيم خوفِهم، وهلعهم؛ إذ الرُّعب في قلوبهم قذْفٌ لا إلقاءٌ.

سرُّ إسنادِ القذف إلى ضمير يعود إلى الله تعالى:

عِظَمُ القاذفِ يزيد من قوَّة القذف

لمّا كان القاذفُ هو الله ﷻ، الذي له كلُّ صفات الكمال والجلال والجمال؛ كان القذفُ منه له من الأثر العظيم ما يُهلَك به الجيشُ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 21/ 312.

كلُّهُ، فضلًا عن أن ينزل به من الهزيمة والغلبة ما لا يتصوَّره عقل، ولا يخطر على قلب، فالقاذف هو الله تعالى، وأنّى يقاربه أحدٌ سواه في قذفه، أو أن يدفع قذف الله عنه؟

بلاغةُ التَّعبير بالفعل الماضي مع اليهود في ﴿وَقَذَفَ﴾:

تحقُّقُ قذفِ الرُّعب وتمكُّنُهُ من قلوب اليهود

عبَّر ﷻ بالفعل الماضي ﴿وَقَذَفَ﴾ في قوله: ﴿وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ﴾ مع اليهود؛ للدِّلالة على أنَّ القذف أمرٌ قد تحقَّق، وفرغ منه في قلوب سائر اليهود، بما يدلُّ عليه الفعل الماضي من تحقُّق الوقوع، وهذا التَّحقُّق والتَّمكُّن من قذف الرُّعب في قلوب اليهود، وإن كان ماضيًا في الذِّكر، إلّا أنَّه سنَّة مضطردة في الحاضر والمستقبل كما تحقَّقت في الماضي.

نكتةُ تقديم المسبَّب على السَّبب:

سرور المؤمنين بإنزال اليهود من حصنهم المكين

يُلاحظ أنَّ عطف قوله تعالى: ﴿وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ﴾ على قوله: ﴿وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم﴾ من باب عطف المسبَّب على السَّبب، فقذفُ الرُّعبِ في قلوب اليهود كان سببًا في إنزالهم، ولكنَّ النَّظم القرآنيَّ قدَّم المسبَّبَ؛ لمّا كان السّرور بإنزالهم أكثرَ للمؤمنين، والإخبار به أهمَّ لهم قدَّمه[1].

دلالةُ تقديم الجارِّ والمجرور ﴿فِي قُلُوبِهِمُ﴾:

تصويرُ حال اليهود واستحضار رُعبهم في النُّفوس

تقدَّم في قوله تعالى: ﴿وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ﴾ الجارُّ والمجرور ﴿فِي قُلُوبِهِمُ﴾؛ لنكتة الاهتمام بموضع الرُّعب وهي القلوب، ولزيادة تصوير الحال واستحضار صورة ما أصاب اليهود في النُّفوس، ولأنَّ القلوب إذا أصابها الرُّعب؛ تزلزل الجسد، وانماع، كما سبق بيانه.

دلالةُ التعريف في ﴿ٱلرُّعْبَ﴾:

عُرِّفت لفظة ﴿ٱلرُّعْبَ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ﴾ بأداة التَّعريف (أل) الدّالَّة على العهد الذِّهني، وهي تعرِّف

(1) أبو حيان، البحر المحيط: 8/ 469.

حقيقة ذهنيَّة يراد بها فردٌ مبهمٌ من أفراد الحقيقة باعتبار عهديَّته في الذِّهن لاشتمال الحقيقة عليه[1]، فالمقصود بالرُّعب: الخوف الشَّديد بحيث أسلموا أنفسهم للقتل وأهليهم وأولادهم للأسر من غير أن يكون من جهتهم حراك فضلًا عن المخالفة والاستعصاء[2].

الخوفُ الشَّديد لدرجة تسليم النُّفوس للقتل والأهل للأسر

علَّةُ فصل جملة: ﴿فَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾:

فُصِلَ قَوْلُهُ تَعالى: ﴿فَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ عن الجملة السّابقة، وهي قوله تعالى: ﴿وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ﴾؛ لوجود كمال الاتِّصال بينهما، وهو اتِّحاد الجملتين اتِّحادًا تامًّا وامتزاجًا معنويًّا، بحيث تُنزَّل الثّانية من الأولى منزلة نفسها[3]، فقد وقعت جُمْلَةُ: ﴿فَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾؛ بيانًا للرُّعب الذي قذفه الله في قلوب اليهود، أو فُصِلَت عنها؛ لأنَّها جملة مستأنفة استئنافًا بيانيًّا، واقعًا جوابًا لسؤال مقدَّر استدعاه المقام، كأنَّ سائلًا سأل: ما الَّذي حدث حين قذف الله في قلوب اليهود الرُّعب؟ فكانت الإجابة: فريقًا تقتلون، وتأسرون فريقًا.

بيانٌ للرُّعب الذي قذفه الله في قلوب اليهود

سرُّ تقديم المفعول في الآية:

يظهر في قوله تعالى: ﴿فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا﴾ تقديمُ القتل على الأسر والنُّكتة في ذلك تقديمُ الأهمِّ، فالقائل يبدأ بالأهمِّ فالأهمِّ والأعرف فالأعرف والأقرب فالأقرب، والرِّجال كانوا مشهورين، فكان القتل واردًا عليهم، ولأنَّ بقتلهم يتمُّ الاستيلاء على الأرض والأموال والأسرى، وكذلك لمّا كان الرجال أهلَ الشوكة، وكان الوارد عليهم أشدَّ الأمرين، وهو القتل؛ كان الاهتمام بتقديم ذكرِهم أنسبَ بالمقام[4].

قتلُ الرِّجال يسهِّل الاستيلاء على الأرض والدِّيار والأموال

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 18/ 263.
(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 7/ 100.
(3) القزوينيّ، الإيضاح: 3/ 108.
(4) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 25/ 164، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 21/ 313، والهرري، حدائق الروح والريحان: 22/ 482.

سرُّ تقديمِ المفعول في قوله: ﴿فَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾:

تفرُّقُ اليهود في ذواتهم وقلوبهم؛ بسبب قذف الرُّعب في قلوبهم، كان سببًا في قتلهم، ولذلك قدَّم المفعول ﴿فَرِيقًا﴾ على الفعل ﴿تَقْتُلُونَ﴾، من باب تقديم السَّبب على المسبَّب.

التفرُّق حال القتل أظهرُ منه حال الأسرِ

دلالةُ التَّعبيرِ بصيغة المضارع ﴿تَقْتُلُونَ﴾:

عُبِّرَ في قوله تعالى: ﴿تَقْتُلُونَ﴾ بالفعل المضارع؛ للدِّلالة على حكاية حال ماضية، واستحضارها في النُّفوس حتّى كأنَّ السّامع يرى رأي العين قتل المسلمين للرِّجال مِنَ اليهود، وقد كانوا مِن ستِّمئة إلى سبعمئة مقاتل.

استحضارُ صورةِ قتلِ المسلمين لرجال اليهود

بلاغةُ الالتفاتِ في قوله: ﴿تَقْتُلُونَ﴾:

عُدِلَ في قوله تعالى: ﴿فَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ مِن ضمير الغيبة في قوله: ﴿وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ﴾ إلى الخطاب في قوله: ﴿تَقْتُلُونَ﴾ على سبيل الالتفات إلى خطاب المؤمنين تكملة للنِّعمة التي أنبأ عنها قوله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا﴾ [الأحزاب: 9] الآية، أي: فأهلكنا الجنود، وردَّهم الله بغيظهم، وسلَّطكم على أحلافهم وأنصارهم[1]، كما أنَّ الالتفات من افتنان العرب في الكلام وحسن تصرُّفهم فيه، ولأنَّ الكلام إذا نُقِلَ من أسلوب إلى أسلوب؛ كان ذلك أحسنَ تطريةً لنشاط السّامع، وإيقاظًا للإصغاء إليه من إجرائه على أسلوب واحد[2].

تنبيهُ الأفهامِ بتلوين أساليب الكلام

دلالةُ الواو في قوله: ﴿وَتَأْسِرُونَ﴾:

عُطِفَ قوله تعالى: ﴿وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا﴾ على قوله: ﴿فَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ بحرف الواو الدالِّ على الجمع والاقتران؛ تتميمًا لحكم سعد بن معاذ ﷺ في يهود بني قريظة بعد اختيارهم النُّزول على حكمه،

عطفُ حكمِ السَّبي والأسر على حكم القتل

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 21/ 312.

(2) الزمخشريّ، الكشّاف: 1/ 14، وأبو حيّان، البحر المحيط: 1/ 245.

فبعد أن حُكِمَ في رجالهم بالقتل عطف عليه حكمه في نسائهم وذراريهم بالسَّبي والأسر.

سرُّ عدم تقديم المفعول مع الأسر:

يظهر في قوله تعالى: ﴿فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا﴾ تأخُّرُ المفعول ﴿فَرِيقًا﴾ مع الفعل ﴿وَتَأْسِرُونَ﴾؛ إذ لا داعي إلى تقديمه، فجاء على الأصل في الجملة الفعلية، وكذلك لأنَّ الأسرى كانوا هم النِّساء والصِّغار، ولم يكونوا مشهورين، والسَّبي والأسر أظهر من القتل؛ لأنَّه يبقى، فيظهر لكلِّ أحدٍ أنَّه أسير، فقدَّم من المحلّين ما هو أشهر على الفعل القائم به، وما هو أشهر من الفعلين قدَّمه على المحلِّ الأخفى[1]، وأخَّر المفعول في الأسر أيضًا لتأخُّر وجوده بالأسر، بخلاف القتل؛ فقد زال المقتول من الوجود.

التزامُ الأصل بتأخير الأسر على القتل

دلالةُ التَّعبيرِ بصيغة المضارع ﴿وَتَأْسِرُونَ﴾:

عُبِّرَ في قوله تعالى: ﴿وَتَأْسِرُونَ﴾ بالفعل المضارع؛ للدِّلالة على حكاية حال ماضية واستحضارها في النُّفوس حتّى كأنَّ السّامع يرى رأيَ العين أسْرَ المسلمين لنساء اليهود وذراريهم، وكان المأسورون سبعمئة[2].

استحضارُ صورة أسر المسلمين لنساء اليهود وذراريهم

سرُّ التعبير بالفريق في الموضعين:

عُبِّرَ بالفريق في الموضعين: ﴿فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا﴾، دون الجماعة أو الطائفة أو العصابة ونحو ذلك؛ للدِّلالة على تفرُّق ذواتهم، وتفرُّق قلوبهم من أثر الرُّعب الذي قذفه الله في قلوبهم.

الدلالةُ على تفرُّق ذواتهم وقلوبهم

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

المظاهرة والتَّقوية والإعانة:

يظهر الفرقُ بين هذه الألفاظ في كون المُظاهرة مشتقَّة من مادة الظَّهْر، وهي مفيدة لِمَعْنى المعونة على سبيل المجاز، والتَّقوية من الله

المظاهرة مجاز والإعانة عامَّة والتقوية خاصة

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 25/ 164، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 21/ 313.
(2) الهرريّ، حدائق الروح والريحان: 22/ 482.

تعالى للعبد هي إقداره على فعل المقدور، ولو كان كثيرًا، والتقوية من العبد للعبد إعطاؤه المال وإمداده بالرجال، وهي أبلغُ من الإعانة، ألا ترى أنَّه يقال: أعانه بدرهم، ولا يقال: قوّاه بدراهم، وإنَّما يقال: قوّاه بالأموال والرِّجال، وقال بعضهم: التَّقوية تكون على صناعة، فالإعانة عامَّةٌ والتَّقوية خاصَّة[1].

وقد آثر النَّظم القرآنيُّ لفظ المظاهرة؛ لكونها أقوى دلالةً في شدَّة المعونة.

الصّياصي والحصون:

عمومُ الصّياصي في كلِّ ما يمتنع به، وخصوص الحصون بالبناء

يظهرُ الفرق بين هذين اللفظين في علاقة العموم والخصوص، فالصياصي عامَّة في كلِّ ما يُحتمى به، ولهذا تُطلق الصَّياصي على قُرون البَقَرِ والظِّباء؛ لأنَّ ذَوات القُرون تتحصَّن بها [2]، وكذلك صيصة الدّيك: الشَّوكة الَّتي في رجله؛ لأنَّها يمتنع بها، وأيضًا تسمّى شوكة الحائك: صيصة[3]، أمّا الحصون؛ فهي خاصَّة بالآطام الَّتي تُبنى للتَّحصُّن مِنَ الأعداء، فهي أخصُّ دلالةً، وقد آثر النَّظم القرآنيُّ لفظَ الصّياصي لدلالته على شدَّة تمنُّعِ اليهود بها.

الإلقاء والقذف:

تميُّزُ القذفِ بالسُّرعة والشدة والبُعد والعموم

يشترك اللَّفظان في دلالة كلٍّ منهما على الرَّمي، ويختلفان في تميُّز القذف بكونه إلقاءً شديدًا سريعًا[4].

كما جعل بعض العلماء من خصائص القَذْف اعتبار صفة البُعد فيه، ولهذا قيل: منزل قَذَفٌ وقَذيفٌ، وبلدة قَذوفٌ: بعيدة، كما يتميَّز القَذْفُ بكونهِ يُستعار للشَّتم والعيب، كما استُعير الرَّمي دون الإلقاء[5].

(1) العسكريّ، الفروق اللّغوية، ص: 137، 189، والكفويّ، الكلّيات، ص: 592.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (صي)، والجوهري، الصحاح، والأزهري، التّهذيب، والرّاغب، المفردات: (صيص).
(3) ابن قتيبة، غريب القرآن، ص: 349، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 14/ 161.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 21/ 312.
(5) ابن فارس، مقاييس اللغة: (قذف)، والأزهري، التّهذيب: (قذف)، والرّاغب، المفردات: (قذف).

وقد آثر النَّظمُ القرآنيُّ لفظَ القذفِ؛ للدلالة على سرعة جعْلِ اللّه بأمره التَّكويني الرُّعبَ في قلوب بني قريظة، فاستسلموا، ونزلوا على حكم المسلمين[1].

الرُّعب والخوف:

عموم الخوف، واختصاص الرُّعب بكونه أشدَّ الخوف وأعلاه

يتَّضح الفرق بين الرُّعب والخوف في علاقة العموم والخصوص، فالخوف عامٌّ في كلِّ غمٍّ يلحق العبد من توقُّعه المكروه[2]، وأمّا الرُّعب؛ فهو أخصُّ دلالةً؛ إذ هو الخوف الشَّديد الَّذي يملأ القلوب، وقد ورد في القرآن الكريم في خمسة مواضع، جميعها دالٌّ على كونه معجزة، أربعة في سياق الحرب، وواحد في قصَّة أصحاب الكهف، فكان الأنسب في المعجزة أن يعبِّر بالخوف الشَّديد المخالف للعادة[3]، فكان هو الأنسب بالنَّظم القرآنيِّ، فقد تملَّك اليهود الرُّعب الشَّديد، بحيث أسلموا أنفسهم للقتل وأهليهم وأولادهم للأسر من غير أن يكون من جهتهم حراك فضلًا عن المخالفة والاستعصاء[4].

المتشابهُ اللَّفْظيُّ:

اختصاصُ قذف الرُّعب في القلوب باليهود

يتَّضح التشابهُ بين قول اللّه ﷻ: ﴿وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا﴾، وقولهِ تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا۟ ۖ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ ۖ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ ۚ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُوا۟ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ۝٢﴾ [الحشر: 2]، في أنَّ في كلٍّ منهما قد نصر اللّه نبيَّه

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 21/ 312.
(2) الكفويّ، الكلّيات، ص: 75.
(3) محمّد محمّد داود، معجم الفروق الدّلالية في القرآن الكريم، ص: 240.
(4) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 7/ 100.

ﷺ بقذف الرعب في قلوب أعدائه من اليهود، وأنَّ آية الأحزاب في شأن غزوة بني قريظة، وآية الحشر في شأن غزوة بني النضير، وكلاهما يهود.

ويختلفان في جملة أمور، منها: أنَّ النَّظم القرآني عبَّر بالإنزال في شأن بني قريظة؛ لأنَّهم تحصَّنوا في صياصيهم، ولأنَّهم قُتِلوا، وعبَّر بالإخراج من الدّيار في شأن بني النَّضيرِ؛ لأنَّهم أُجلوا؛ وأُخرِجوا من المدينة، كما أنَّ آية الأحزاب ذُكِرت أنَّ عقاب بني قريظة كان بقتل رجالهم وسبي نسائهم وذراريهم، في حين أنَّ آية الحشر ذكرت أنَّ عقاب بني النَّضير كان بإجلائهم من ديارهم، فقاموا بتخريب بيوتهم بأيديهم؛ ليأخذوا منها ما يستطيعون حمله.

وانفردت آية الحشر بقوله: ﴿فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ۝٢﴾ [الحشر: 2]، وهي أصلٌ للقياس عند الأصوليِّين؛ لأنَّ ما حدث مع يهود بني قريظة، أمر لا يتكرَّر مع اليهود إلّا نادرًا، بينما ما حدث مع يهود بني النَّضير، أمرٌ يتكرَّر مع اليهود، بل هي سنَّة كونيَّة فيهم، كلَّما اجتمعوا في مكان، سلك الله عليهم من يعذِّبهم بالطَّرد والإذلال، أو بالحبس والضَّرب، أو بغير ذلك، كما قال ربُّنا: ﴿وَإِذۡ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبۡعَثَنَّ عَلَيۡهِمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَن يَسُومُهُمۡ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِۗ﴾ [الأعراف: 167].

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الخامس والأربعون،
سورة الأحزاب من الآية 26 إلى سورة سَبإ الآية 12
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2025م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2025م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الخامس والأربعون، سورة الأحزاب من الآية 26 إلى سورة سَبإ الآية 12
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 45 ، 804 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-98-3
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 45 : المجلد الخامس والأربعون، سورة الأحزاب من الآية 26 إلى سورة سَبإ الآية 12.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-98-3
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9766833 بتاريخ 2025/01/14م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»